الروحانية الحديثة

للأستاذ الفيلسوف

محمد فريد بك وجدى

قرأنا مقالا ممتعاً لحضرة الاستاذ عبد الواحد يحيى ، تحت عنوان « الروحانية الحديثة وخطأها » نلخصه للقارئ فى بضعة أسطر ثم نعقبه بملاحظات لنا عليه ، قال حضرته :

« من أخطر الأغلاط ما حدث فى أمريكا فى سنة ١٨٤٧ تحت اسم الروحانية الحديثة ومؤداها ثبوت إمكان الاتصال بالموتى بوسائل مادية ، تصحبه ظواهر كانبعاث أصوات وتحرك أشياء الخ . ولكن هذه الظواهر قد حدثت فى كل زمان ومكان ، فلا يمكن القول بأنها ظواهر شاذة . فلماذا يستولد منها الغربيون عقيدة جديدة ، بينما لم يفكر أحد فى شىء من ذلك من قبل . لاشك فى أن الغربيين قصدوا بذلك ، الثورة على المادية المنتشرة فى العالم فعملوا على ايجاد وسيلة سرية تعمل على هدمها . ولكن الباطل شر دائماً ، وهذه الوسيلة تفضى الى مادية من نوع آخر بل اكثر ضرراً »

« وقد أصيب كثير من محاولى الاتصال بالموتى بالجنون أو الخراب ، ثم الانتحار . ونحن لا ننكر حدوث هذه الظواهر ، ولكننا ننكر ما تفسر به من أنها من عمل الموتى ، ونعزوها الى قوى الانسان العقلية ، فان هذه القوى تتسع وتكبر ، وبخاصة فى حالة النوم المغناطيسى فتحرك الاشياء ، وتدرك الخفيات . وعليه فهى ليست روحية خارجية بالمرة ، بل هى نفسية تحدث فى الأحوال غير العادية التى يدخل فيها الوسيط »

« والانسان فى حالة النوم المغناطيسى يحاط بقوى فعالة ألطف من القوى التى فى الجسم هى التى كان يعبر عنها الصينيون بأنها (قوى سابحة) لها قوانين ثابتة مقررة . فان أمكن جمعها وتركيزها فى شروط خاصة ، انبعثت منها تأثيرات غريبة . أضف إلى هذا بأن الانسان إذا اتصل بهذه القوى يمكنه أن يلبسها إلى أمد شخصية جديدة ، بتعطيل شخصيته الخاصة به »

« ان الذين يشتركون فى جلسات الروحانيين تتصل أفكارهم بالوسيط على غير شعور منهم ، وربما كان من حوادثهم ما أصبح عندهم نسياً منسياً ، فاذا ذكرها الوسيط عجبوا من ذلك كل العجب ولا يدرون أنها وصلت اليه منهم »

« وأحياناً تحدث ظواهر مصـدرها الموتى ، ولكن ليس بفعل مباشر منهم ، بل من بقايا من نفس الميت ، يتركها بعد تحلله . لأنه يوجد فى النفس عناصر تلازم الجزء الخالد من الكائن . وهذه البقايا النفسية تمثل حالات خاصة من (القوى السابحة) ويمكنها أن تأخذ مظهراً مؤقتاً للحياة ، وتعطى إجابات آلية معكوسة ، من أفكار الانسان التى كانت هى جزءاً من نفسيته . ونريد هنا أن نشير بصفة خاصة إلى فعل الجن ، ولكن ليس هنا مجال الافاضة فى هذا الموضوع »

« وبما أن هذه الأمور ليس فيها شىء من الروح ، فلا ضرورة للقول بأنه لا يمكن المقارنة بينها وبين وحى الأنبياء أو ما هو أقل منها ، كالمقدرة الخاصة بالأولياء وهى التى تنبعث فى مبدإها من العالم الروحى »

« والنتيجة أن كل من يود معرفة حقيقة مثل هذه الموضوعات فلا يمكنه أن يجد ضالته فى البحوث الغربية الحديثة بل عليه أن يرجع الى المعارف الشرقية القديمة » انتهى

ملاحظاتنا على هذه الأقوال

امتازت الثلاثة القرون الأخيرة بالشك فى كل ماورد عن الأقدمين ، وبالتوقف فى قبول شىء منها الا بدليل محسوس . فلما أعلن فرانسوا باكون فى القرن السابع عشر الأسلوب العلمى ، وأبعد عن مجال العلم الصحيح جميع الظنون والآراء والمذاهب الكلامية ازداد الناس رسوخاً فى طلب الدليل ، وأتقنوا وسائل التمحيص ، وتشددوا فى ذلك تشدداً عظيما بقصد تخليص العلم من جميع الشوائب ، وتجريده للحقائق التى لا يأتيها الباطل من أية جهة من جهاتها ، فأفضت هذه الحركة الاصلاحية الى اقصاء كل مالا يقوم عليه دليل محسوس حتى مسألة وجود الخالق والروح والخلود . فلما حدثت الحوادث الخارقة للعادة فى دار قيل أنها مأهولة بالأرواح فى (هيدسفيل) بأمريكا سنة ١٨٤٧ قابلها الناس أولا بالسخرية والانكار ، ولكن لما تطوع لفحصها الأساتذة الكبار من جامعات نيويورك أمثال (مابس) و (هير) وثبتت لهم صحتها وكتبوا فيها مباحث قيمة ، انهمك الناس بتجربة أمثالها فى كل بلد متمدن ، وتألفت فى انجلترة لجنة علمية من ثلاثة وثلاثين عالماً فأوسعوها بحثاً وتمحيصاً ، ثم رفعوا عنها للمجمع العلمى تقريراً إجماعياً قرروا فيه صحة هذه الخوارق . فكان ذلك داعياً للعلماء فى جميع الأمم المتمدنة ، لبحث أمثال هذه الأمور ، فتبينت لهم صحتها

ولم يأبوا إذاعتها والدفاع عنها أمثال (روسل ولاس) مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعي قبل دارون (ووليم كروكس) اكبر كيماوي انجلترة وعضو بالجمعية الملكية الانجليزية (واو ليفر لودج) رئيس جامعة برمنجهام و (فريدريك ميرس) و (بودمور) و (جارنى) و (هودسون) من مدرسي كامبردج بانجلترة ، و (زولنر) الفلكي المشهور (وويبر) و (فيشنر) و (أولتريسى) الفزيولوجيون ، و (شرنك توتزنج) وجميعهم من علماء الألمان و (شارل ريشيه) مدرس الفزيولوجيا بجامعة الطب بباريس و (كاميل فلامريون) الفلكي الكبير و (دارسونفال) من جامعة السوربون بفرنسا ، و (سيزار لومبروزو) مؤسس علم الجرائم و (مورسيلى) و (كيايا) و (كيابارلى) من مدرسي جامعة تورينو بايطاليا ، و (هيزلوب) و (وليم جيمس) و (اليوت) من جامعة نيويورك بأمريكا الخ الخ ممن يعدون بالألوف غير الكتاب والشعراء والأطباء ورجال القانون والصحفيين ممن لا يدخلون تحت حصر . وقد جربوا كلهم فى هذا الباب تجارب ، واتخذوا لها من التحوطات ما لا يسمح بتطرق أى تدليس الى أعمالهم ، فقرروا بعد أن فرضوا لحدوثها كل الفروض التى يسمح بها العلم بأن هذه الخوارق صحيحة لا غبار عليها ، وأن بعضها حاصل من نفس الوسيط ، وبعضها من قبل أرواح الموتى ، أو من كائنات عاقلة قائمة فى عالم أرقى من العالم المادى ، الذى نعيش فيه . ولا يزال العلماء يدأبون وراء استكناه حقيقة هذه الحوادث ، وقد أقاموا لها مؤتمرات وأسسوا لها مجامع علمية ، أشهرها جمعية المباحث النفسية بلوندرة ولا تزال قائمة من سنة (١٨٨٢) الى اليوم ، والمجمع العلمى الألمانى تحت رئاسة أحد كبار الاساتذة من المعروفين والمجمع العلمى الفرنسى الخاص بهذه المباحث ، وقد شرط أن لا يلحق بهذه المجامع الا العلماء ذوو المكانات العالية لتفحص فحصاً علمياً جديراً بها ، وخليقاً بالانقلاب الخطير الذى تؤدى اليه فى آراء البشر وعقائدهم ، وفى توجيه العلم نفسه الى وجهة غير الوجهة المادية ، التى اندفع فيها منذ قرون عديدة . فليس الذى يحدو هؤلاء العلماء الى إذاعة هذه الأمور وضع عقبات خيالية أمام المادية ، ولكنها حوادث ومشاهدات سيكون لها أثر كبير فى اصلاح نفسية الانسان ، وفى تجلية حقائق ، تجارأت المادية على انكارها ، فزجت بالناس فى حمأة الحيوانية

وقد وهب الثرى الفرنسى المسيو جان مييه (Jean Meyer) للعاملين على نشر التعاليم

الروحانية داراً عظيمة تلم شعث جمعياتهم ، وفيها تعقد مؤتمراتهم ، وتلقى محاضراتهم ، وأسس مجمعاً علمياً لبحث الأمور الروحانية بنور العلم ، وعلى مقتضى أسلوبه الحكيم ، ووهب له قصراً فخماً ، ووقف عليه مالا يغل له فى كل سنة (أربعة ملايين) فرنك . فلا يعقل أن يتمالأ العالم فى جميع البلدان على نشر فرية بهذه العناية العظيمة لوقف تيار المادية ، وهم يعلمون أن هذا سلاح مفلول لا يغنى عن مستعمله شيئاً .

أما إصابة بعض المجربين للأمور الروحانية بالجنون فصحيح . ولكنها حوادث شاذة حدثت لبعض المنهمكين فيها بغير علم ولا مرشد ، وهو من أدل الأدلة على أن هذه الحوادث تتعلق بالعالم الروحانى ، وتعمل فيه قوى خارجية لكائنات مستقلة يعوز الاتصال بها مراناً وخبرة ليسا للمتهجمين عليها بغير حزم ولا تدبير .

أما عزو الأستاذ عبد الواحد هذه الخوارق الى قوى الوسيط العقلية فقد ذهب هذا المذهب فى أوروبا علماء كثيرون ، ولكن متابعة التجارب والتأمل فيها أثبت لهم أن من الحوادث ما يمكن تعليله بقوى الوسيط الذاتية ، ولكن منها مالا يمكن تعليله بها فان ما تأتى به الروح التى تتصل بالوسيط يفوق معلوماته كثيراً . فمنها من تكلمت بلغات لا يفهمها الوسيط ولا أحد من الحاضرين كاللغة الهندية ، والصينية والعربية ، وكتبت بها كتابات صحيحة . ومنها من أتمت مؤلفات كان قد تركها مؤلفوها ناقصة وماتوا مع أن الوسيط كان أمياً لا يدرى عنها شيئاً ، فلو افترضنا أن القوى العقلية للوسيط تستمد من القوى العالمية التى يسميها الصينيون (بالقوى السابحة) كما يقول حضرة الأستاذ عبد الواحد فانه يتعذر على الانسان أن يقبل حدوث الكذب من هذه القوى العلوية فانها قد تستولى على يد الوسيط أو تظهر متجسدة أمام المجربين . فتدعى لهم أنها روح فلان أو فلانة غير الوسيط ، ولم تعترف واحدة منها بأنها روح الوسيط أو قواه العقلية فهل يعقل أن تتمالأ أرواح الأحياء ، حتى ولو اتصلت بالقوى العقلية العالمية ، على غش الناس وتضليلهم ، وهى فى حالة تجردها الروحانى بارتكاب أشنع الآثام وهو الكذب ؟ كما يقول العلامة الكسندر اكزاكوف فى كتابه (النفسية والروحية Animisme et Spiritisme)

على أن العناصر الروحانية التى ذكرها الأستاذ عبد الواحد ووصفها بأنها قوى فعالة ألطف من القوى التى فى الجسم ، وهى التى عبر عنها الصينيون بالقوى السابحة ، وما قاله

من أن الحى يترك بعد موته بقايا نفسية فى الأشياء ، بعد تحلله تلازم الجزء الخالد منه ، وما وصفها به من أنها قد تأخذ مظهراً مؤقتاً للحياة وتعطى اجابات معقولة ، كل هذا مما لا يمكن اثباته بدليل علمى ، ولا يعترف به العلم ، بل هى من مولدات خيال القدماء ، يمكن وضعها فى مستوى قولهم بوجود نفوس للكواكب تؤثر فى تدبير العالم الأرضى فيجب عدم الاعتداد بها والامتناع عن اتخاذها مسلمات تقف حجر عثرة أمام تقدم العلوم وتصد عن متابعتها على نور المشاهدات والتجارب .

إن القدماء زعموا أن العناصر أربعة : الماء والتراب والهواء والنار . وبنوا على ذلك علومهم وفلسفتهم ، وأنت خبير أن بين هـذه المسلمات ، وبين ما وصلت اليه بالتحليل والتركيب مدى لا يدركه التصور ، فقس عليه كل ما ذكروه عن الروح والنفس والعقل ، فالتعويل عليها الآن مستحيل . والذين يقفون معها يحكمون على أنفسهم بالعيش فى زمان غير زمانهم ،وتصاب معارفهم بالتحجر .

فلندع العلم الحديث يتابع طريقه فى بحث العالم الروحانى . فهو الكفيل بدقة أسلوبه ، وشدة تمحيصه ، وكثرة وسائله ، بالوصول منها الى مثل المستوى الذى وصل اليه من تسخير الماء والهواء والأثير ، وقد حان الوقت لأن يصدر فى هذه الشؤون حكماً قاطعاً مبنياً على التجارب والمشاهدات ، وإذ ذاك ينفتح أمام الانسان الطريق الى العالم الروحانى، فيستكمل وسائل تقدمه المادى والأدبى ، ويصل الى مستوى لم يبلغ اليه أحد ممن تقدمه فى الوجود ، ويكون ذلك هو العهد الذهبي الذى يحلم به الفلاسفة والشعراء ومن يعش ير والله المستعان ؟

محمد فريد وجدى

﴿ المعرفة ﴾ اطلع الأستاذ عبد الواحد يحيي على هذا المقال — قبل أن يطبع — وذلك بحكم صلته بنا التى يعرفها الأستاذ فريد بك وجدى نفسه ، وقد كتب الأستاذ عبد الواحد رداً على رد الأستاذ فريد بك أرجأنا نشره للجزء المقبل ، فنلفت اليه أنظار القراء ؟